QUARTERLY, PEER REVIEWED
al-amiR
ISSN(P): 2790-931X ISSN(E): 2790-9328
E-Mail: editor.alamir@gmail.com

الرحلة النسائية في أدب الرحلات العربي: قراءة تحليلية في كتاب «الرحلة: أيام طالبة مصرية في أمريكا» لرضوى عاشور

Women's Travel Writing in Arabic Travel Literature: An Analytical Reading of Radwa Ashour's Al-Riḥla: A Female Egyptian Student's Days in America

Dr. Nighat Tahira
MA (Arabic, Islamiyat), Ph.D. (Arabic), LLB.
Email: nighattahira17@gmail.com

Submission Date: 10 August 2026
Review Date: 15 August 2026
Acceptance Date: 05 September 2026
Publication Date: 10 September 2026

Article Link: https://alamir.com.pk/index.php/ojs/article/view/372

Abstract:

Women's travel writing has played an important role in the development of modern Arabic literature by providing distinctive perspectives on travel, cultural encounters, identity, and social experience. However, women's contributions to the genre have not always received the same scholarly attention as those of male travel writers. This study examines women's travel writing in Arabic literature through an analytical reading of Radwa Ashour's book *Al-Rihla: A Female Egyptian Student's Days in America*. It aims to explore the literary, cultural, and intellectual dimensions of the travel narrative and its significance in representing the experiences of an Arab woman in a foreign society. The research employs a qualitative, descriptive, and analytical methodology, drawing on the selected text, relevant Arabic literary sources, and contemporary academic scholarship.

The study explores the distinctive features of women's travel writing and examines how Radwa Ashour presents her experiences as an Egyptian student in the United States. It focuses on the representation of cultural differences, social relationships, identity, personal observations, and the interaction between Eastern and Western societies. Furthermore, the study analyzes the narrative perspective and literary expression through which the author records her experiences, reflects on cultural encounters, and presents her understanding of the societies she observes. Particular attention is given to the relationship between personal experience and broader cultural and social contexts.

The study highlights the significance of Radwa Ashour's travel narrative in understanding the contribution of women writers to modern Arabic travel literature. It demonstrates how women's travel writing can offer valuable insights into questions of identity, cultural representation, and intercultural understanding. The study also contributes to the international academic discussion of Arabic travel literature by examining a female-authored narrative within the broader context of world travel writing and comparative literary studies.

Keywords: Women's Travel Writing, Arabic Travel Literature, Radwa Ashour, Travel Narrative, Cultural Identity, Egyptian Literature, Modern Arabic Literature.

التمهيد

يُعَدُّ أدبُ الرحلات من الفنون الأدبية التي أسهمت في توثيق تجارب الإنسان ورحلاته واكتشافاته، كما مثّل وسيلةً مهمةً للتعرّف على الثقافات والمجتمعات المختلفة، ورصد العادات والتقاليد والظواهر الاجتماعية والفكرية. ولم يقتصر أدب الرحلات على وصف الأماكن والمشاهد الطبيعية، بل تجاوز ذلك إلى التعبير عن التجربة الإنسانية، وتسجيل الانطباعات الشخصية، وتحليل الاختلافات الثقافية والحضارية بين المجتمعات. ومن ثمّ أصبح هذا الفن مجالًا أدبيًّا ومعرفيًّا يجمع بين السرد والوصف والتأمل والتحليل.

وقد شهد أدب الرحلات العربي تطورًا ملحوظًا عبر مراحله التاريخية، وتنوّعت موضوعاته وأساليبه تبعًا لاختلاف البيئات والظروف الثقافية والاجتماعية. ومع تطور الكتابة الأدبية الحديثة، برزت إسهامات المرأة العربية في هذا المجال، حيث أصبحت الرحلة وسيلةً للتعبير عن الذات، وتسجيل الخبرات الشخصية، واستكشاف العلاقات بين الثقافات المختلفة. وقد أضافت الكاتبة العربية إلى أدب الرحلات أبعادًا جديدة تتصل بتجربة المرأة وهويتها ومكانتها الاجتماعية، فضلًا عن رؤيتها الخاصة للمجتمعات التي تزورها وتتفاعل معها.

وفي هذا السياق، تبرز تجربة رضوى عاشور، الأديبة والناقدة المصرية، من خلال كتابها «الرحلة: أيام طالبة مصرية في أمريكا»، الذي يمثل مادة أدبية مناسبة لدراسة تجربة المرأة العربية في مجتمع أجنبي. وتتيح قراءة هذا العمل الوقوف على طبيعة السرد الرحلي، وكيفية توظيف التجربة الشخصية في تصوير الحياة اليومية، والتفاعل مع البيئة الثقافية والاجتماعية المختلفة. كما يفتح المجال لدراسة قضايا الهوية والانتماء والاختلاف الثقافي، والعلاقة بين الذات العربية والآخر الغربي، من خلال منظور كاتبة عربية تسجل تجربتها في سياق اجتماعي وثقافي مغاير.

وتنبع أهمية دراسة هذا العمل من كونه يتيح النظر إلى أدب الرحلات النسائي بوصفه مجالًا للتعبير الأدبي والثقافي، وليس مجرد تسجيل للأحداث والمشاهدات الشخصية. فالنص الرحلي يمكن أن يكشف عن تصورات الكاتبة ومواقفها من المجتمع الذي تعيش فيه مؤقتًا، كما يساعد على فهم طبيعة اللقاء الثقافي وما ينشأ عنه من ملاحظات وتساؤلات تتعلق بالهوية والاختلاف والتواصل الإنساني.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل الكتاب المذكور في إطار أدب الرحلات العربي، مع التركيز على ملامح الكتابة الرحلية النسائية، والأبعاد الأدبية والثقافية والاجتماعية التي يتضمنها النص، فضلًا عن دراسة صورة المجتمع الأمريكي كما تتجلى في تجربة الكاتبة، وطبيعة التفاعل بين الثقافتين العربية والغربية. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي، من خلال قراءة النص وتحليل مضامينه وخصائصه السردية، والاستفادة من الدراسات الأدبية ذات الصلة.

ومن خلال هذا المدخل، تسعى الدراسة إلى إبراز إسهام رضوى عاشور في أدب الرحلات العربي، وبيان أهمية التجربة النسائية في إثراء هذا الفن الأدبي، وفتح آفاق أوسع لدراسة أدب الرحلات العربي في ضوء المقاربات الثقافية والأدبية المقارنة

الرحلة: أيام طالبة مصرية في أمريكا لرضوى عاشور

يُعد أدب الرحلة من أقدم أشكال الكتابة الأدبية، التي امتزج فيها السرد الإبداعي بالتوثيق الواقعي، وقد أسهم العرب إسهاما بارزا في هذا المجال، سواء في عصور ازدهار الحضارة العربية أو في مراحل تراجعها. وتتميز كتب الرحلات بكونها مصادر ثرية لدراسة التاريخ والآثار والبنى الاجتماعية، إذ تتضمن أوصافا دقيقة للأماكن والشخصيات وتقدّم رؤى وانطباعات شخصية تعكس الواقع الثقافي والاجتماعي في فترات زمنية مختلفة. وبهذا، تمثل هذه النصوص مرجعاً مهما للباحثين في الجغرافيا والتاريخ والأنثروبولوجيا والاقتصاد والأدب.

أدب الرحلات هو نوع أدبي يجمع بين الانطباعات والمشاهدات والمشاعر التي يدوّنها الكُتّاب أثناء أسفارهم، حيث يصفون العادات والتقاليد والمعالم المختلفة في البلدان التي يزورونها. تنقسم مؤلفات أدب الرحلة إلى طابعين: أدبي وعلمي. الطابع الأدبي يتميز بنقل الصور والمشاهد بأسلوب مؤثر يثير الأحاسيس ويمنح القارئ متعة، ويستخدم أساليب سردية وشعرية ولغة بليغة. أما الطابع العلمي، فيُفيد الباحثين في مجالات التاريخ والجغرافيا والاجتماع والاقتصاد، حيث تحتوي هذه الكتب على معلومات دقيقة عن الأحوال السياسية والاجتماعية والعمرانية لمناطق مختلفة، وتعد مرجعاً هاماً في الدراسات المتخصصة. في بداياته، كان أدب الرحلة يركز على تسجيل تفاصيل الرحلات من منظور شخصي، مما جعله قريبا من السيرة الذاتية، إذ ينقل الكاتب تجاربه الذاتية وانطباعاته عن الأماكن التي يزورها، والناس الذين يلتقيهم، والعادات التي يكتشفها. هذا الطابع الشخصي أضفى على النصوص صدقا وجاذبية، وساهم في بناء علاقة مباشرة بين الكاتب والقارئ. ومع تطور هذا الجنس الأدبي، بدأ يأخذ بعدا توثيقيا أقوى، فصار الرحالة لا يكتفي بتسجيل تجربته الفردية، بل يدون ما يراه ويسمعه من أحداث ووقائع ومظاهر حضارية، مسجلا جوانب ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية عن المجتمعات التي يمر بها. ساعد هذا التحول في توسيع وظيفة أدب الرحلة، فلم يعد مجرد وسيلة ترفيهية، بل أصبح أداة نقد وتحليل، بل وحتى شهادة موثقة تسهم في فهم الإنسان والعالم من حوله. فإن أدب الرحلة قد شق طريقه من السيرة الذاتية إلى الأدب الوثائقي، جامعا بين الذاتي والموضوعي.

عند البحث في كتب التراجم والأعلام نجدها لا تحفل إلا بالعدد الضئيل من أعلام النساء، فلم يذكر اسم واحد للرحّالة بالمؤنث في كل ما انتجه النقّاد العرب عن أدب الرحلة في التراث العربي، ولم تدوّن كتب الرحلات العربية المؤنثة فيما وصل للقراءة النقدية الحديثة من مدوّنات الرحالة والجغرافيين وكأنّ أدب الرحلة جنس أدبي ذكوري بالأصل، وغياب القلم المؤنث لا يثير التساؤل أو البحث. لقد غابت أسماء النساء من السجل التاريخي الذي كان حق التدوين والتخليد فيه للمسيطر، فلم يؤرخ للنساء في القرون السابقة. ويقرّ العلّامة الشيخ محمد حسين الأعلمي الحائري في مقدمة مؤلفه "تراجم أعلام النساء"، بأن تأليف التراجم أغفل سير النساء وهمّشها. فقد "أهمل المؤلفون الأصحاب شأن المرأة، فلم يذكروا عن أحوالها إلا عرضاً لا يقام له وزن، ولا يقصد به ذوق، فئة مخصوصة."[1] فلهذا يلاحظ القارئ في كتب التراجم وكتب الأعلام ندرة ذكر النساء في مجال أدب الرحلة، إذ يكاد يغيب تماماً صوت الرحالة المرأة في التراث العربي، كما أن الدراسات النقدية لم تولِ هذا الغياب اهتماماً يُذكر. ولا

يعرض فؤاد قنديل في مؤلفه أدب الرحلة في التراث العربي، الذي تتجاوز صفحاته تعداد الخمسمائة، لأي أديبة للرحلة بين الخمس والثلاثين رحالة الذين عرض لرحلاتهم وتجاربهم.[2]

وقد ربط كثير من الباحثين ظهور هذا النوع الأدبي بعوامل مثل الغزو والتجارة والحج وطلب العلم، وكلها أنشطة غالبا ما ارتبطت بالرجال. تجاهل الباحثون تاريخ النساء في السفر والاستكشاف، مما زاد من تهميش تجاربهن في هذا المجال. بيد أن أعين الباحثين الذكورية لم يستوقفها مطلقا التنقيب في تاريخ النساء ومشاركاتهنّ في الارتحال والاستكشاف والحج وطلب العلم. وفي هذا السياق يتناول هذا البحث موضوع أدب الرحلة، مركزا على طابعه الذكوري وهيمنة صوت الرجل فيه، مقابل الغياب شبه التام لأصوات النساء الكاتبات في هذا النوع الأدبي. وفي هذا الإطار، يبرز عمل الكاتبة رضوى عاشور "الرحلة: أيام طالبة مصرية في أمريكا"، الصادر عام 1983، كسيرة ذاتية تنتمي إلى أدب الرحلة، تسجل فيه تجربتها كامرأة عربية عاشت في مجتمع غربي مختلف تماماً عن المجتمع الذي نشأت فيه مسلطا الضوء على الفروق الثقافية بين الشرق والغرب، وتأثير المجتمع الأمريكي على وعيها وهويتها. تسرد الكاتبة تفاصيل حياتها كطالبة في جامعة ماساتشوستس خلال السبعينيات القرن الماضي، حيث كانت تتابع دراستها للحصول على الدكتوراه في الأدب الأفرو-أمريكي، والتي نالتها عام 1975. فاستحوذ العمل على نصّ رضوى على اهتمامي وانشغلت به.

رضوى مصطفى عاشور، كاتبة مصرية معاصرة، وناقدة أدبية متميزة، موطنها مصر فولادتها في مدينة القاهرة، يوم ٢٦ مايو، عام ١٩٤٦م الموافق ٢٤ من جمادى الآخرة، عام ١٣٥٦ هـ. كانت أسرتها مكونة من أربعة أبناء وهي المولود الثاني للأسرة[3]، سماها جدها لأمها باسم "رضوى" على اسم جبل "الرضوى" الكائن بالقرب من المدينة المنورة، وهو الذي كان العرب يضربون به المثل في الرسوخ فيقولون: "أثقل من رضوى[4]". تخرجت في كلية الآداب بجامعة القاهرة لقسم اللغة الإنجليزية، وحصلت على الماجستير في الأدب المقارن من نفس الجامعة، ثم سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب الأفريقي الأمريكي، وذلك من جامعة ماساتشوستس[5].

وكانت أستاذة الأدب الإنجليزي بكلية الآداب بجامعة عين شمس، وهي روائية وكاتبة قصة قصيرة، فمن رواياتها: "حجر دافئ" ١٩٨٥م، "خديجة وسوسن" ١٩٨٩م، "سراج" ١٩٩٢م، "ثلاثية غرناطة" ١٩٩٥م، "أطياف" ١٩٩٩م، "قطعة من أوروبا" ٢٠٠٣م، "فرج" ٢٠٠٨م، "الطنطورية" ٢٠١٠م، "الصرخة" ٢٠١٤م، ومن مجموعاتها القصصية "رأيت النخل" ١٩٨٩م، و"تقارير السيدة راء" ٢٠٠١م).[6] توفيت في ٣٠ من نوفمبر ٢٠١٤م في المغرب بسبب معاناتها مع السرطان. قد حصلت رضوى على كثير من الجوائز المحلية والدولية، منها "جائزة أفضل كتاب" من معرض القاهرة الدولي للكتاب يناير ١٩٩٥م عن روايتها "ثلاثية غرناطة"، و"جائزة قسطنطين كفافيس" الدولية للأدب في اليونان أكتوبر ٢٠٠٧م، و"جائزة تركوينيا كارداريللي" في النقد الأدبي في إيطاليا ديسمبر ٢٠٠٩م، و"جائزة سلطان العويس" للرواية والقصة في دُبَيّ في ديسمبر ٢٠١٠م.[7]

والمؤثرات التي أثرت في "رضوى عاشور"، وتركت تأثيرا عميقا في حياتها، وانتاجها الأدبي منها:

- نشأتها في أسرة كانت عريقة في الأدب، فوالدتها مي عبد الوهاب عزام كانت شاعرة وجدها لأمها عبد الوهاب عزام كان مفكرا وأديبا ومناضلا سياسيا وسفيرا لمصر في باكستان منذ عام ١٩٥٠ لمدة أربع سنوات.
- حبها للغة العربية.
- زواجها من الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي، فقد تعلقت بالقضية الفلسطينية وعايشتها التي تركت أثرها في رواياتها.
- أسفارها المتعددة إلى كثير من الدول قدمت لها نتيجة معلوماتية كبيرة[8] وخاصة سفرها إلى "الولايات المتحدة الأمريكية" للدراسة، والاغتراب أثر على حياتها الأدبية كما في كتابها "الرحلة.. أيام طالبة مصرية في أمريكا" تحكي الكاتبة بأسلوب سردي روائي ظل ومواقف مرت بها هناك وتحدث عن تفاصيل العالم الجديد الذي اختارته والدراسة التي قررت أن تكون جزءً من مسيرتها العلمية.
- الفترة الزمنية التي عاشت، من عام ١٩٤٦-١٩١٤م، فكانت هذه الفترة مزعجة بالأحداث المحلية في مصر، والإقليمية في الدول العربية المجاورة، والعالمية في أنحاء العالم المختلفة؛ فنجد لها أثرا واضحا في مسيرتها الأدبية[9].

في عام 1973 غادرت رضوى عاشور الشابة من القاهرة متوجهة إلى الولايات المتحدة، في وقت كانت فيه العلاقات بين البلدين معلقة رسمياً، ما اضطرها إلى استخراج تأشيرة الدخول عبر السفارة الإسبانية. وعلى الرغم من تلك الظروف السياسية التحقت رضوى بجامعة ماساتشوستس الأمريكية لمتابعة دراستها العليا في الأدب الأفريقي الأمريكي. حيث حصلت على درجة الدكتوراه عام 1975 وعندما عادت إلى القاهرة عام 1977، وجدت بلدا قد تغير، لا سيما في ظل التحولات السياسية التي فرضتها الاتفاقيات الجديدة بين رئيس الولايات المتحدة ريتشارد نيكسون والرئيس المصري أنور السادات. في هذا الكتاب تروي رضوى عاشور تفاصيل تلك الرحلة الدراسية وما شهدته من تحولات شخصية وسياسية في آن معا. فيكثف زمن المحكي سنتين اثنتين إضافتين من حياة رضوى الأستاذة بالجامعة وشريكة مريد البرغوثي من نضال الحياة. ويختتم المحكي بحدث ترحيل مريد عن مصر، وإبعاده عن رضوى وعن تميم ابنهما وهو بعمر خمسة أشهر.

في عام 1983م، أصدرت رضوى عاشور سيرتها الذاتية على هيئة أدب الرحلة بعنوان "الرحلة: أيام طالبة مصرية في أمريكا". ومن خلال هذا الكتاب، تكشف الدكتورة رضوى عاشور تفاصيل حياتها اليومية كفتاة عربية، تعيش في مجتمع غربي يختلف جذريا عن المجتمع الشرقي الذي نشأت وتربت فيه، تحتكي بثقافة أهلها وتكتشف مزاياها وعيوبها، وعن تأثير تلك الثقافة في شخصيتها. تستكشف أمريكا السبعينات وما يميز تلك الفترة من أحداث ومشاهد ومعالم. تحكي رضوى فتقول: "مارس في البدء، ومريد يكتب لي من القاهرة عن خطي الربيع والصيف. وأنا هنا استيقظ في الصباح أشهد تساقط الندف الثلجية الناعمة والأرض لا زالت تسكن الأبيض، أراقبها من خلف الواجهة الزجاجية لحجرتي ويفاجئني أنني أحب المشهد".[10]

في هذا الكتاب تقدم رضوى عاشور رؤية جديدة إلى ذاتها بوصفها مسافرة، وتعيد النظر في البلد الذي أقامت فيه، وفي العلاقات المعقدة بين مصر والولايات المتحدة. في أمهرست توفّق رضوى بين هويتها ومساحتها الجديدة في الولايات المتحدة أمريكية، التي تختلف كليا عن عالمها السابق. فبينما كانت قد سافرت لدراسة الأدب الأفرو-أمريكي وسائر التيارات الأدبية التحررية، أتيحت لها أيضاً فرصة التعرف على وجوه أخرى للمجتمع الأمريكي: شباب بيض يبحثون عن معنى للحياة، ونساء أمريكيات يائسات من أجل العثور على أزواج وأميرات جنوبيات خائفات من الإسلام. كما تقول رضوى: "تركت لويز زميلتي في الحجرة الجامعية مكانها بعد أسبوعين من وصولها. فشعرت بارتياح عميق لانفرادي بالحجرة درن سليلة ملوك البرتغال التي اكتشفت أن لانكماشها مني أسبابا أخرى أيضا. كانت الفتاة الجنوبية البيضاء خائفة مني، متوجسة من لون بشرتي، من خلفيتي الدينية، من جنسيتي، كانت باختصار خائفة من مجرد أنني أنا، وأنني موجودة في هذا العالم. فهل كانت لويز تخشى أن أقوم في الليل وأدق الطبول من حولها ثم ألتهمها حية! أم تخشى أن أطيح برقبتها الملكية وهي نائمة؟ أم كانت البلهاء تخاف أن أتحين الفرصة في غيابها وأدق على آلتها الكاتبة؟ لا أدري على أي شيء أسقطت لويز مخاوفها، لكن المهم أنها انزاحت عن الجامعة وقلبي فاسترحت".[11] ولكنها تدرك أن زميلتها الجديدة لم تكن كزميلتها السابقة، سواء في طريقة التفكير أو في نوع العلاقة التي نشأت بينهما: "كانت الفتاة طيبة وسهلة المعشر، بها مسحة ريفية تتبدى في جلستها وسلوكها بالمقارنة لبنات جيلها من الأمريكيات. وهي تظهر ما تبطن فلا يخفى على أحد ممن يتعامل معها أنها، رغم تقدمها الدراسي وصغر سنها، شديدة القلق لعدم زواجها".[12]

يتميز كتاب "الرحلة" لرضوى عاشور بثرائه بالملاحظات الدقيقة حول الحياة الجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال منتصف سبعينيات القرن العشرين. وبينما كانت صداقاتها في أمريكا قائمة على التبادل الثقافي الإنساني، عادت بعد أربع سنوات إلى مصر لتجد واقعا مغايرا، إذ تحولت الصداقة المصرية الأمريكية إلى علاقة غير متكافئة، يسودها الولاء المطلق من جانب الحكومة المصرية، ويطغي عليها طابع الاستغلال السياسي، وقد تجلت ذروة هذا التحول في زيارة الرئيس أنور السادات الشهيرة إلى إسرائيل. فتوازي رحلة رضوى العلمية والأكاديمية إلى أمريكا وإقامتها بها، ورحلة تحول العلاقات المصرية الأمريكية سياسيا وتاريخيا واستراتيجيا من التوتر والقطيعة إلى الولاء والمصلحة والاستغلال. وكذلك ينفتح نص "الرحلة" لرضوى عاشور على تعدد الخطابات والأشكال الكتابية من رسالة وشعر ومقال صحفي وتقرير تلفزيوني ووثيقة تاريخية وبيان سياسي وعريضة احتجاجية في شكل تسجيل المذكرات وتدوين السير الذاتي.

تصف رضوى المرتحلة الجامعة وأقسامها. وتقف بتأن لرصد فصول الدراسة وأنماط الأساتذة، وخصوصيات المكتبة وبرينس هاوس مسكن طلاب الدراسات العليا، والمتاحف المجاورة في البلدة أو في بوسطون ونيويورك وباقي المدن التي زارتها. فتقول: "كان مبنى مركز الحرم قد ضمم حديثا لاستيعاب النشاطات الطلابية ولمنافع أخرى أيضا. مبنى ضخم من عشرة طوابق، طابقان منها تحت الأرض، يضمان مكاتب اتحاد الطلاب وقاعات للاجتماعات والعروض الموسيقية والسينمائية ومحل تتفاوت معروضاته من الكتب إلى معجون الأسنان ومحل للحلاقة وآخر للطباعة ومكتب بريد وآلات (فليبرز) وبائعات آلية للسجائر والحلوى ومقهيان يوفران إلى جانب المشروبات بعض الوجبات السريعة. أما الأدوار العليا من المبنى ففيها فندق لزوار الجامعة ومطعم وبار".[13] وتعرض

رضوى عاشور حياة الأصدقاء والطلبة من مختلف الجنسيات والأعراق والانتماءات السياسية والأطياف الفكرية، مما يعكس التنوع الثقافي والاجتماعي الذي واجهته خلال رحلتها في أمريكا. هذا التنوع يظهر في الأنشطة المشتركة، النقاشات الفكرية، والفعاليات التي شاركت فيها، مثل لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الفيسطيني. تحكي عن العام والخاص عن الموضوعي والذاتي. وتتحدث عن أجواء الحرية والانفتاح والاختلاف والتباين التي ميزت الحياة في أمريكا خلال فترة السبعينات. هذا التباين يظهر أيضا في وصفها للمدن مثل بوسطن ونيويورك، حيث ترصد أنماط الحياة المختلفة، المعالم الثقافية، والمواقف السياسية التي تعكس تعددية المجتمع الأمريكي.

تصف رضوى في كتابها الجامعة الأمريكية وأقسامها ومكتبتها وسكن الطلاب، وتوثّق الحياة اليومية، والعلاقات التي نشأت بينها وبين طلاب من جنسيات وأعراق وأفكار سياسية متعددة. تحكي رضوى فتقول: "هذه المساحة الممتدة ذات المباني الكثيرة التي بدت لي ساعة وصولي كمتاهة إغريقية أستعيض فيها عن خيط آريان الأسطوري بخريطة للجامعة تعرّفني بالجهات والأماكن، صرت الآن أعرفها وآلفها، من العمارات الحديثة المتجاورة المسماة بالأبراج لعلوها الشاهق والتي يسكنها آلاف من الطلبة والطالبات في الجنوب الغربي من الحرم، إلى المساكن الطلابية ذات السقوف القرميدية والتي لا يتجاوز أي منها الأربعة الطوابق في الشمال الشرقي، وبينها تمتدّ الجامعة بمبانيها المتعددة التي أنشئت على مدى عشرات السنين منذ تأسيسها في منتصف القرن الماضي."[14] كما تسجل تأملاتها حول الفروق الثقافية والاجتماعية بين الشرق والغرب، وتناقش تأثير هذه التجربة على شخصيتها. ترصد التباينات الحادة بين البيض والأفرو-أمريكيين، وتصف بعض البيض بأنهم باردون ومنعزلون، بينما يظهر آخرون بصورة أكثر انفتاحاً.

نظرة عامة على الكتاب:

يروي كتاب "الرحلة" لرضوى عاشور تجاربها كطالبة مصرية تتابع دراستها لنيل درجة الدكتوراه في الأدب الأفرو-أمريكي بجامعة ماساتشوستس في مدينة أمهرست خلال سبعينيات القرن الماضي.

يكشف الكتاب أيضاً عن تفاعل الكاتبة مع الثقافة الأمريكية، بإيجابياتها وسلبياتها، ويقدّم رؤية مزدوجة: من جهة كامرأة عربية مهاجرة، ومن جهة باحثة تدرس الأدب التحرري وتعايش تفاصيل الحياة الأمريكية. وبينما كانت تتعلم عن النضال الثقافي للأفرو-أمريكيين، كانت تراقب أيضاً مشاعر القلق من الإسلام والاغتراب بين الأمريكيين.

"الرحلة" ليس مجرد سرد لتجربة شخصية، بل نص غني بالأشكال والأساليب المتعددة، من مذكرات ومراسلات وشعر ومقالات وبيانات سياسية، ما يجعله نصاً منفتحاً على الخطابات المختلفة. كما يعكس التحول في العلاقات السياسية بين مصر وأمريكا، من التوتر والقطيعة إلى التعاون القائم على المصالح، والذي انتهى بزيارة السادات لإسرائيل. تجمع رضوى عاشور سردياتها بين التأملات الشخصية والأحداث التاريخية والسياسية الكبرى، مثل حرب فيتنام، والانقلاب في تشيلي، وتطور العلاقة بين مصر والولايات المتحدة في عهد الرئيس أنور السادات. تمزج رحلة عاشور بين الاعتبارات الأخلاقية والعناصر الجمالية، ما يخلق مزيجًا فريدًا من السرد القصصي، والتوثيق التاريخي، والتحليل النقدي. فتحكي عن خطاب فريدريك دوغلاس القائد الأفرو- أمريكي،

الذي ألقاه في يوم عيد الاستقلال الأمريكي بمدينة روتشيستر في ولاية نيويورك عام 1852، والذي نشر لاحقا في صحيفة نيويورك تايمز "إن عيدكم المجيد هذا لا يشملني، واستقلالكم الرفيع يكشف المسافة الشاسعة التي تفصلنا. النعم التي ترفلون اليوم فيها لا نشارككم إياها. التركة الغنية التي خلفها لكم آباؤكم تركة العدالة والحرية والرخاء والاستقلال. تشتركون فيها لا أشترك. الشمس التي أتت لكم بالضوء والبلسم الشافي أتت لي بالسياط والموت. وهذا الرابع من يوليه يومكم وليس يومي فلكم أن تبتهجوا وعليّ أن أحزن".[15] ثم تنقل كلمات إبراهام لينكون صاحب إعلان تحرير العبيد عام 1863: "أنا لا أهدف إلى إرساء المساواة الاجتماعية بين البيض والسود. إن هناك فارقا طبيعيا بين الاثنين، وأرجح أن هذا الفارق سوف يحول دائما دون أن يحيا الاثنان معا على قدم المساواة الكاملة".[16]

يمزج السرد بين التأملات الشخصية والملاحظات الثقافية والتعليقات السياسية، مقدماً رؤى عميقة حول المجتمع الأمريكي والحياة الأكاديمية والسياسات العالمية في تلك الحقبة. النص ينفتح على تعدد الخطابات مما يثريه فنا وجماليا، من بينها خطاب الرئيس المصري أنور السادات: "كان الوقت مساء والمكتبة مضاءة بمصابيح النيون وأنا أقرأ بتوجس نص خطاب للسادات. انتهيت من قراءة الجريدة وقد تمكن مني خوف شديد، غادرت مكاني وقبلتي باب المكتبة للخروج. سمعت صوتا يكرر اسمي. إنه زميل مصري من زملائي، بادرني: خير هل أنت مريضة؟ كنت أقرأ الأهرام. يقول: يأخذوا عشرة كيلو من عندي! من الذي يقول؟ السادات، كنت أقرأ خطابه. إنه يتكلم عن الأرض، كأنها ماله الخاص يتصرف بها كما يحلو له".[17] كما أن رضوى عاشور تضيف بصمة نسوية مميزة للنص، حيث تجمع بين الجمالي والأخلاقي، وتقدم رؤية نقدية وتحليلية للواقع المستكشف. النص يعكس تجربة ذاتية عميقة تتداخل مع الموضوعي، مما يجعل الرحلة عملا أدبيا فريدا يجمع بين التأريخ، السرد، والتأمل الفكري.

الموضوعات:

تشمل الموضوعات الرئيسية: التبادل الثقافي، والنقد السياسي للإمبريالية والعنصرية، والصراعات الشخصية المتعلقة بالهوية.

التبادل الثقافي: تستعرض عاشور الفروقات بين الثقافتين المصرية والأمريكية، مع التركيز على ملاحظاتها حول المجتمع الأمريكي والديناميات العرقية والتاريخ السياسي.

النقد السياسي: ينتقد الكتاب الإمبريالية والعنصرية واستغلال الفئات المهمشة مثل السكان الأصليين الأمريكيين والأمريكيين من أصول أفريقية. الحلم الأمريكي لم يكن بريئا، بل تشكل في سياق دموي استعماري، كان ضحيته الأولى السكان الأصليون. النص يمزج بين السيرة الذاتية وأدب الرحلة، حيث لا يقتصر على حبكة السفر والعودة، بل يوازي بين رحلة رضوى العلمية إلى أمريكا ورحلة التحولات السياسية والتاريخية للعلاقات المصرية. الأمريكية.

الصراعات الشخصية: يعكس الكتاب التحديات التي واجهتها عاشور كامرأة في بيئة أكاديمية واجتماعية غريبة. إن تدوين رضوى عاشور عن رحلتها إلى أمريكا ينطلق من تداخل بين الذاتي والموضوعي. قرار رضوى بالسفر لمتابعة الدكتوراة في الأدب الأفرو. أمريكي يرتبط بتأثير لقائها بالكاتبة الأمريكية شيرلي غراهام ديبوا، حيث اقتنعت رضوى بأن البرنامج الجامعي في أمهرست يتسم بالتحرر ومناهضة الكولونيالية. ورضوى، لاحقا، لا تتوانى في

مقاطعها الرحلية عن معارضة آراء تلك السيدة، وخاصة اعتقادها بأنها كانت تتوقع أن يكون أداء الرئيس السادات أفضل، لأنه نصف أسود. فتجيب رضوى معارضة: "نصف أسود أم نصف أزرق، لا علاقة للألوان بهذه المسائل."[18] خلال الرحلة تختبر رضوى تجربة جديدة بين واقع عربي يميز بين الجنسين لصالح الرجل وحياة جامعية منفتحة في أمريكا.

الأسلوب السردي:

يمزج النص بين السرد القصصي والتوثيق التاريخي والمذكرات الشخصية، مما يجعله مزيجًا من أدب الرحلات والكتابة الذاتية. تستهل رضوى السرد في الفصل الثاني من مؤلفها، فتحكي: "حين استيقظت من نومي صباح ذلك اليوم الخريفي من شهر أكتوبر، نويت الذهاب إلى المركز التجاري لشراء آلة كاتبة ولما كانت السماء صحوا... قررت أن أذهب مشيا. خرجت من البيت ولم أنحرف يمينا... خين وصلت الجامعة في الصيف كانت أغصان الأشجار المغروسة على جانبي الشارع... أما الآن... وأفكر في الدنانير التي تفر من البنان ثم يأخذني من أبي الطيب المتنبي خشخشة الأوراق الجافة تحت خطواتي وأنا أمشي... بدأت الطريق في الانحدار... تفاجئني الأشجار... لم أر هكذا الأشجار في حياتي... وحين بدت صفوف السيارات اللامعة في ضوء الشمس... أدرت ظهري وأكملت الطريق إلى المحل الذي أقصد. قلت وأنا أنظر للطريق الصاعدة أمامي ها أنا ام أحسب للرجوع حسابا، سينقصم ظهري... كنت متعبة، ولم تكن الآلة الكاتبة خفيفة. توقفت على طريق السيارات ومددت ساعدي... وحين نزلت من السيارة بعد أقلّ من خمسة دقائق كان لدي سبب إضافي للمرح... هو النظرة المندهشة للشباب الأمريكيين الثلاثة الذين كانوا بالسيارة. والأرجح أن لهجتي الواثقة، الآمرة تقريبا، كانت أكثر مما يتوقعون من شخص أجنبي، فما بالك وهذا الشخص ليس من الجنس الأوروبي الأسمى ولا حتى من جنس الرجال!"[19]

تستخدم عاشور أوصافًا حية وتأملات نقدية لنقل تجاربها، وغالبًا ما تربط بين رحلتها الشخصية والقضايا السياسية والاجتماعية الأوسع.

المنظور النسوي:

يعبر تدوين رضوى عاشور عن حقها في تأنيث النصوص التي تقرأها، وإدخال صوتها المؤنث في السرد، مما يمنح خطابها خصوصية واختلافا عن المنظور الذكوري المهيمن. كما أنها تحلل التنميطات الذكورية والأنثوية وتقارن بين النماذج المعتادة في وطنها والنماذج في العالم المستكشف. رضوى تستكشف العالم الجديد بعين ناقدة، تجمع بين الوصف، السرد، والتحليل، مما يبرز تجربتها الذاتية في مواجهة الواقع الموضوعي. تؤكد كتابتها على تقاطع الجندر والهوية والاستكشاف الثقافي.

السياق التاريخي والسياسي:

يوثق الكتاب أحداثًا بارزة في السبعينيات مثل حرب فيتنام، والانقلاب في تشيلي، وتطور العلاقات بين مصر والولايات المتحدة، بما في ذلك زيارة الرئيس السادات المثيرة للجدل إلى إسرائيل. ولا ينفصل حضور الذات الكاتبة عن انشغالها بالموضوعات الكبرى، كما لا ينفصل السرد المحكي عن السياق الأمريكي عما يحدث في بقاع أخرى من العالم، مما يكسب النص بعدا كونيا يتجاوز التجربة الفردية. كما تحكي رضوى في الفصل الثاني من

الكتاب: "دخلت برينس هاوس وبيدي الآلة الكاتبة الجديدة... فسمعت مسز روبنسون، مديرة البيت... تناديني... لاندلاع الحرب بين مصر وإسرائيل... صعدت ركضا إلى حجرة الطالبة العربية الوحيدة بالبيت "ماذا حدث؟" رحنا نقلب في محطات الإذاعة... وأنتظر مكالمة تليفونية من القاهرة، لا تأتي، والإعلام الأمريكي حصار، وغولدا مايير بفيلم تلفزيوني تتحول بين بنايات من ثلاثة طوابق. هل يمكن أن تكون السويس؟ قال المعلق في نشرة الأخبار... وتحمل النيويورك تايمز في صفحتها الأولى... كنا عشرة من الطلاب العرب في جامعة أمريكية عدد طلابها يتجاوز العشرين ألفا... كان عددنا قليلا فقررنا تشكيل لجنة لا تقتصر علينا بل يسهم فيها كل من يرغب من طلاب الجامعة. وحين تشكلت اللجنة كان بها طلاب أمريكيون من التشبيه الشيوعية والتروتسكية واليساريين الجدد وأفرو. أمريكيون وبورتويكيون وطلبة من أفريكا وأمريكا اللاتينية. وبهذا اكتسبت لجنة الدفاع عن خقوق الشعب الفلسطيني والعربي مكانتها بين نشاطات طلاب العالم الثالث داخل الحرم الجامعي... واجتمعت اللجنة للمرة الأولى في قاعة صغيرة من قاعات اتحاد الطلبة..."[20]

نتائج البحث:

يُعد كتاب رضوى عاشور "الرحلة" مزيجًا فريدًا من المذكرات الشخصية والنقد الثقافي والتحليل السياسي. يتجاوز حدود أدب الرحلات التقليدي من خلال دمجه لوجهات نظر نسوية ومعادية للإمبريالية، مما يجعله إسهامًا بارزًا في الأدب العربي المعاصر. تمزج عاشور بين أدب الرحلات، والسيرة الذاتية، والتوثيق التاريخي، والنقد السياسي، لتخلق سردًا هجينًا يتجاوز الحدود التقليدية للأجناس الأدبية. يتضمن النص منظورًا نسويًا، حيث يركز على تجارب الكاتبة الشخصية كامرأة، ويتحدى تقاليد أدب الرحلات التي يهيمن عليها الذكور. تستخدم عاشور أوصافًا حية لتصوير المناظر الطبيعية والثقافية في أمريكا، موثقة تفاصيل الحياة الجامعية، والمناطق الحضرية، والتفاعلات الاجتماعية. يدمج السرد بشكل سلس بين التأملات الشخصية والأحداث السياسية والتاريخية الأوسع، مثل حرب فيتنام، والصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، والتحولات السياسية في مصر خلال عهد الرئيس السادات. تنظر عاشور بعيون ناقدة إلى قضايا مثل الإمبريالية، والعنصرية، وعدم المساواة بين الجنسين، مقدمة تعليقات فكرية على البنى المجتمعية وتوازنات القوى. غالبًا ما يُقرأ النص كسلسلة من المشاهد السينمائية، مع وصف دقيق للحظات والأماكن والتفاعلات، مما يضفي تأثيرًا بصريًا قويًا. يتضمن السرد حوارات وتفاعلات مع شخصيات متنوعة، مثل الطلاب، والأساتذة، والنشطاء، مما يُغني النص بتعدد الأصوات والمنظورات. تمزج عاشور في كتابتها بين الاعتبارات الأخلاقية (مثل العدالة، ومناهضة الإمبريالية) والعناصر الجمالية، مثل اللغة الرفيعة والعمق العاطفي. يتميز السرد بطابع تأملي عميق، يستكشف هوية الكاتبة، وصراعاتها، ونموها خلال رحلتها.

الخاتمة

يتضح من خلال هذه الدراسة أن أدب الرحلات يُعَدُّ مجالًا أدبيًّا وثقافيًّا مهمًّا لتوثيق التجارب الإنسانية، والتعرّف على المجتمعات والثقافات المختلفة، وتحليل أوجه التشابه والاختلاف بينها. وقد أسهمت المرأة العربية في إثراء هذا الفن من خلال تقديم تجاربها الشخصية ورؤيتها الخاصة للعالم، مما أضفى على أدب الرحلات أبعادًا أدبية واجتماعية وثقافية متميزة.

وقد أظهر التحليل أن كتاب «الرحلة: أيام طالبة مصرية في أمريكا» لرضوى عاشور يمثل مادة أدبية مهمة لدراسة تجربة المرأة العربية في مجتمع مختلف ثقافيًّا واجتماعيًّا. فمن خلال التجربة الشخصية والمشاهدات اليومية، يتيح النص قراءة طبيعة التفاعل بين الذات العربية والبيئة الغربية، كما يفتح المجال للتأمل في قضايا الهوية والانتماء والاختلاف الثقافي والتواصل الإنساني.

وتبرز أهمية هذا العمل في إظهار العلاقة بين التجربة الفردية والسياق الثقافي الأوسع؛ إذ لا تقتصر الكتابة الرحلية على تسجيل الأحداث والمواقف، بل تتجاوز ذلك إلى التعبير عن رؤية الكاتبة وتأملاتها وملاحظاتها تجاه المجتمع الذي تعيش فيه. كما تكشف الدراسة عن أهمية المنظور النسائي في أدب الرحلات، لما يقدمه من زوايا نظر وتجارب قد تختلف عن تلك التي تبرز في كتابات الرحالة الرجال.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن دراسة تجربة رضوى عاشور تسهم في توسيع الاهتمام بأدب الرحلات النسائي في الأدب العربي الحديث، وتؤكد أهمية قراءة النصوص الرحلية في ضوء المناهج الأدبية والثقافية المقارنة. كما تفتح هذه الدراسة آفاقًا لمزيد من البحوث التي تتناول إسهامات الكاتبات العربيات في أدب الرحلات، وتحلل تمثيلات الهوية والثقافة والآخر في كتاباتهن.

---

[1] - Al-Aʿlamī, Muḥammad Ḥusayn al-Ḥāʾirī, Tarājim Aʿlām al-Nisāʾ (Beirut: Muʾassasat al-Aʿlamī, 1987), 1:15.

[2] -Fuʾād Qandīl, Adab al-Riḥlah fī al-Turāth al-ʿArabī (Cairo: Maktabat al-Dār al-ʿArabiyyah lil-Kitāb, July 2002), Muḥarram al-Awwal 1423 AH.

[3] 3-. Khulūd Ibrāhīm ʿAbd Allāh Jarād, Taṭawwur al-Bināʾ al-Dirāmī al-Tārīkhī fī Riwāyāt Raḍwā ʿĀshūr (1992–2010) (Master's thesis, Faculty of Arts and Sciences, Middle East University, 2013–2014), p.

[4]- Jarād, Taṭawwur al-Bināʾ al-Dirāmī al-Tārīkhī, pp. 25–26.

[5] -Jarād, Taṭawwur al-Bināʾ al-Dirāmī al-Tārīkhī, p. 26.

[6] 6.-. Wāʾil ʿAlī al-Sayyid, "Dawr ʿAmmār fī Riwāyat Sirāj li-Raḍwā ʿĀshūr (Dirāsah Taḥlīliyyah)," Majallat al-Baḥth al-ʿArabī, no. 1 (2018), Open University of Iqbal, p.

[7] - al-Sayyid, "Dawr ʿAmmār fī Riwāyat Sirāj," pp. 1–2.

[8]- al-Sayyid, "Dawr ʿAmmār fī Riwāyat Sirāj," p. 2.

[9] - Jarād, Taṭawwur al-Bināʾ al-Dirāmī al-Tārīkhī, p. 31.

[10]-. Raḍwā ʿĀshūr, al-Riḥlah: Ayyām Ṭālibah Miṣriyyah fī Amrīkā, p. 68.

[11] -Āshūr, al-Riḥlah, pp. 23–24.

[12]-Āshūr, al-Riḥlah, p. 40.

[13].- Āshūr, al-Riḥlah, p. 31.

[14]-ʿĀshūr, al-Riḥlah, p. 68

[15]-ʿĀshūr, al-Riḥlah, p. 164

[16]-Āshūr, al-Riḥlah, p. 167

[17] -Āshūr, al-Riḥlah, pp. 62–63

[18]- Āshūr, al-Riḥlah, p. 98

[19]-ʿĀshūr, al-Riḥlah, pp. 21–23

[20] -Āshūr, al-Riḥlah, pp. 27–29.